الحلقة 17

كتاب «الفراسة دليلك لمعرفة أخلاق الناس وطبائعهم» لفخر الدين الرازي

إعداد: ربيع سكر

الحضارة العربية و الإسلامية هي حضارة كتب ومكتبات كان لها أكبر الأثر في تقدم وازدهار الحضارة الانسانية في العصر الحديث ، ومن المعلوم ان الإسلام يحض على العلم ويعتبره فريضة على كل مسلم، وقد ابتدأ القرآن الكريم نزوله بالآيات "اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم" وكانت الآية القرآنية "ن والقلم وما يسطرون" وقوله تعالى: "إنما يخشى الله من عباده العلماء" وقوله أيضاً : "يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات". وقد أحب المسلمون الكتب حباً ملك عليهم مشاعرهم وذكر ول ديورانت في كتابه (قصة الحضارة) " لم يبلغ حب الكتب في بلد آخر من العالم إلا في بلاد الصين في عهد منج هوانج ما بلغه في بلاد الإسلام في القرون الثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر».

ومن المتفق عليه انه بدأت الحركة العلمية الاسلامية في القرن الأول الهجري، بجمع القرآن الكريم ونسخه، وجمع الحديث الشريف وتدوينه، والترجمة إلى العربية عن اليونانية والفارسية والهندية وغيرها من اللغات، والدراسات الفقهية، والأشعار والأنساب، وتسجيل السيرة النبوية والمغازي، وظهرت المكتبات الخاصة، وتطورت المكتبات ونضجت وازدهرت في القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) وبلغت ذروتها في القرن الرابع. وشهد القرن الثاني الهجري تطوير أو اختراع الورق الذي نقل الحركة العلمية نقلة مهمة وبعيدة فازدهرت صناعة النشر (الوراقة). وبنيت في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد مكتبة بيت الحكمة التي كانت مركزاً مهماً لترجمة الكتب التي جمعها المسلمون من خزائن الكتب في مختلف أرجاء العالم وكان المأمون يرسل العلماء المتخصصين للبحث عن الكتب وجمعها من مصادرها ، وعرفت أيضاً مكتبات المساجد والمكتبات الخاصة والمكتبات العلمية والبحثية ومكتبات الخلافة ومكتبات المشافي.

وكان المسجد مركزاً للعلم والدراسة إضافة إلى العبادة وذلك حتى زمن قريب ومازال بعضها كذلك حتى الآن في أنحاء كثيرة من العالم الإسلامي وأماكن تجمع المسلمين، واشتهرت مساجد كثيرة باعتبارها مراكز للعلم والفقه والبحث كالمسجد الحرام في مكة المكرمة والمسجد النبوي في المدينة المنورة والمسجد الأقصى في القدس، والمسجد الأموي في دمشق، والجامع الأزهر في القاهرة، ومسجد الزيتونة في تونس، ومسجد قرطبة، وجامع المنصور في بغداد.

لذلك فانه على الرغم من تفوق الحضارة الغربية في الوقت الحالي، إلا أن البدايات كانت عربية في العديد من المجالات، حيث أثرى العلماء العرب والمسلمون العلم في تخصصات مختلفة، بالإضافة إلى الأدب العربي الذي ألهم الكثير من الكتاب الغربيين، ونواحي أخرى متعددة .

وللاسف الشديد اذا سألت أحدهم : من هم العلماء الأكثر تأثيراً في التاريخ ؟ .. تكون الإجابة : اينشتاين ، داروين ، غاليليو، نيوتن .. وغيرهم .. وهي إجابة صحيحة بلاشك ، لما قدمه هؤلاء من علوم واختراعات وأفكار ، كانت هي السبب الرئيسي فى تقدم الانسانية ..لكن ، هل فعلا كانوا هم الروّاد الأوائل فى تقدم البشرية ، ولم يسبقهم علماء آخرون مهّدوا لهم العلوم والمعارف التى جعلتهم يبتكرون مايبتكرون ؟ بالطبع سبقهم علماء اخرون أبدعوا وألفوا ووضعوا بدايات قواعد ونظريات وأسس العلوم الانسانية والعلمية.

وتقدم «الوسط» خلال شهر رمضان سلسلة من الحلقات بعنوان «كاتب وكتاب» وهي نماذج وأمثلة لمؤلفات عربية تركت علامة في الحضارة الانسانية في الشرق والغرب بطريقة او بأخرى ، فمن المؤكد ان التقدم الهائل الذي وصلت إليه البشرية اليوم ، لم يظهر بين يوم وليلة.. إنما جاء من تراكم هائل للخبرات والمعلومات والرؤى والنظريات والأبحاث ،التى توارثتها الأجيال جيلاً بعد جيل .. وقرناً بعد قرن .. و ارتكزت عليها الحضارة الإنسانية ، وقامت بالبناء عليها والتطوير فيها ،حتى وصلنا إلى ما وصلنا إليه الآن..

وجولتنا اليومية بين أوراق الكتب التراثية والحديثة وما نعرضه منها على حلقات خلال شهر رمضان المبارك ، هي دعوة للاجيال الحالية للبحث والتنقيب في تراث الأجداد من العلماء والأدباء والمفكرين العرب والمسلمين الذين علموا العالم بمؤلفاتهم وحبهم للعلم وأفنوا حياتهم في خدمة الانسانية جمعاء حتى بلغت الحضارة الإسلامية درجة عالية من الرقي بجهود العلماء المسلمين والخلفاء الذين شجعوا هؤلاء العلماء، فازدهرت الحياة العلمية في شتى نواحي المعرفة، وكان لمؤلفات العلماء المسلمين دور كبير في نهضة البشرية وتقدمها التكنولوجي الذي يعيشه العالم الآن ، وفي تلك الحلقات نلقي الضوء حول بعض مؤلفات العلماء العرب والمسلمين العظماء الذين كانوا يعيشون في العصور الوسطى ، فى مساحة جغرافية هائلة ، امتدت من الاندلس غرباً إلى تخوم الصين وروسيا شرقا ...فهل يُمكن ان نعيد انتاجهم بيننا من جديد فى هذا العصر الذي نعيشه الآن لنصنع نهضتنا العربية والإسلامية من جديد ؟

صورة الصفحتين الاولى والاخيرة من المخطوط

- الفراسة علم من العلوم الطبيعية تعرف به أخلاق الناس الباطنة من النظر إلى أحوالهم الظاهرة
- الرازي من أشهر من اهتم بعلم الفراسة وكتابه هو الأشهر من بين كل كتب العلماء المسلمين التي تتحدث عن الفراسة
- المؤلف تطرق للفراسة من مدخل طبي تشريحي وتطرق لتفصيل صفات البشر من خلال قراءة وجوههم وصفاتهم الخارجية

الفصل العاشر

فى دلائل الصوت والنفس والكلام

(١) من كان صوته غليظاً جهيراً فهو شجاع مكار .
(ب) من كان كلامه سريعا فهو عَجُول قليل الفهم .
(ج) من كان كلامه عاليا سريعا فهو غضوب سيىء الخلق .
(د) من كان كلامه منخفضاً فبالضد .
(هـ) من كان نفسه طويلاً فهو رديء الهمة .
(و)من كان صوته ثقيلا فهو رحيب البطن .
(ز) ومن كان صوته غثا[1] فإنه حسود مُضمر للشر .
(ح) ومن كان حسن الصوت فهو دليل الحمق وقلة الفطنة .
(ط) ومن كان نَفَسه غليظا فهو عسر النطق .

(١) الغَثّ : الرديء الفاسد من كل شيء

وصفحة عن دلائل الصوت والكلام

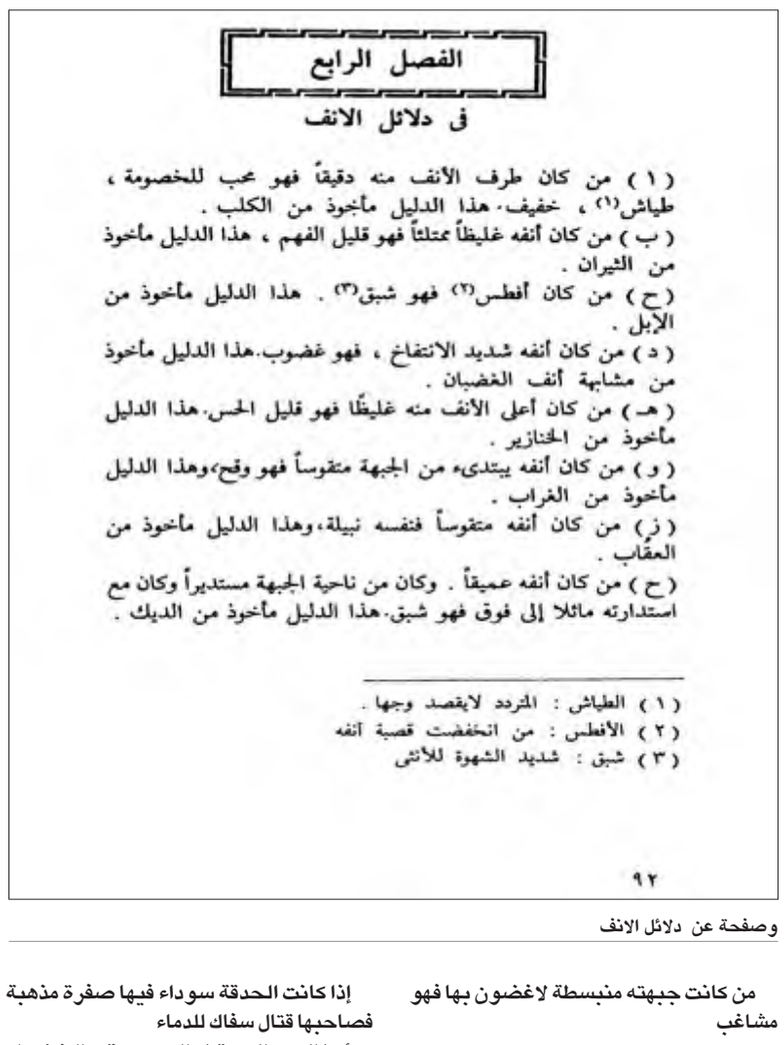

الفصل الرابع

فى دلائل الانف

(١) من كان طرف الأنف منه دقيقاً فهو محب للخصومة ، طياش[1] ، خفيف. هذا الدليل مأخوذ من الكلب .
(ب) من كان أنفه غليظاً ممتلئاً فهو قليل الفهم ، هذا الدليل مأخوذ من الثيران .
(ح) من كان أفطس[2] فهو شبق[3] . هذا الدليل مأخوذ من الإبل .
(د) من كان أنفه شديد الانتفاخ ، فهو غضوب.هذا الدليل مأخوذ من مشابهة أنف الغضبان .
(هـ) من كان أعلى الأنف منه غليظًا فهو قليل الحس.هذا الدليل مأخوذ من الخنازير .
(و) من كان أنفه يبتدىء من الجبهة منقوساً فهو وقح،وهذا الدليل مأخوذ من الغراب .
(ز) من كان أنفه منقوساً فنفسه نبيلة،وهذا الدليل مأخوذ من العقاب .
(ح) من كان أنفه عميقاً . وكان من ناحية الجبهة مستديراً وكان مع استدارته مائلا إلى فوق فهو شبق.هذا الدليل مأخوذ من الديك .

(١) الطياش : المتردد لايقصد وجها .
(٢) الأفطس : من انخفضت قصبة أنفه
(٣) شبق : شديد الشهوة للأنثى

٩٢

وصفحة عن دلائل الانف

الباب الأول فى علامات الأمزجة الكاملة

تمهيد :
اعلم أن كل عضو من أعضاء البدن :
إما أن يكون حاراً ، أو باردا ، فإن كان حاراً فإما أن تكون تلك الحرارة معتدلة أو زائدة ، فإن كانت الحرارة معتدلة أفادت الكمال ، وإن كانت زائدة ، أفادت الاختلال بحسب التبريد .
وأما إن كان باردا ، فإن كان البرد قليلا فإنه يوجب النقصان وإن كان كثيرا يوجب البطلان .
علامات الأمزجة :
وإذا عرفت هذه المقدمة فيجب علينا أن نذكر علامات الأمزجة حتى يتوسل بمعرفتها إلى معرفة الاعتدال والاختلال .

★ علامات المزاج الحار

أما علامات المزاج الحار فنقول :
أما من جهة الأفعال النفسانية : فإنه يكون ذكيا فطنا سريع الكلام ، سريع الحركة ومن ناحية الأفعال الحيوانية : فإنه يكون غضوبا شجاعا بطلا مقداما[1] ، قليل التهيب ، عظيم النفس والنبض جهير الصوت ومن القوة المصورة : أن يكون قوى الأعضاء ، واسع الصدر ، واسع العروق ومن القوة المتولدة : أن يكون كثير الباءة[2] ومن القوة النامية : أن يكون ربع النشوز . ومن القوة الغاذية : أن يكون حسن الهضم ، كثير اللحم ، قليل الشحم ، أحمر اللون : ومن القوة الدافعة : أن يكون كثير الشعر ،

(١) المقدام والمقدامة : الكثير الإقدام على العدو الجرىء فى الحرب .
(٢) الباءة : الباه والباهة : النكاح ، والجماع .

٥٤

صورة صفحة من الكتاب عن علامات الأمزجة

امتاز العرب منذ أقدم العصور بالفراسة والفطنة، و الفراسة علم من العلوم الطَبيعية تعرف به أخلاق الناس الباطنة من النظر إلى أحوالهم الظاهرة، و نظراً لذلك اعتنى بهذا العلم الكبار من علماء العرب و الغرب، فأفردوا له العديد من الكتب، وضعوا فيها خلاصة معارفهم و عصارة تجاربهم في هذا المجال.

ولقد نقل العرب المسلمون علم الفراسة لاحقاً عن اليونان والرومان، وإستفادوا من نظريات ارسطو وأبوقراط، ومن اشهر هؤلاء العلماء العرب الإمام الرازي (محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي التيمي البكري الرازي المعروف بفخر الدين الرازي الطبرستاني).

و يعد فخر الدين الرازي من أشهر من اهتم بعلم الفراسة، أما كتابه (الفراسة دليلك لمعرفة أخلاق الناس وطبائعهم) فهو الأشهر من بين كل كتب العلماء المسلمين التي تتحدث عن الفراسة، و هو من المخطوطات النادرة، كما أنه مرجع أساسي لكثير من اتجاهات علم الفراسة التي ظهرت في أوروبا فيما بعد..

وهذا الكتاب خلاصة لكتاب أرسطو وكتاب الفراسة لفيلمون مع بعض الإضافات الهامة، يتطرق فيه إلى علم الفراسة من مدخل طبي تشريحي كما فعل ذلك قبله أبو قراط في حديثه عن فراسة الأمزجة وعلاقتها بأخلاط وكيمياء الدم، كذلك يتطرق لتفصيل صفات البشر من خلال قراءة وجوههم و صفاتهم الخارجية.

نبذة عن الكتاب

كان الفخر طبيباً من أحذق أطباء زمان وأشهرهم ،قوي النظر في هذه الصناعة ومباحثها ،شرح وهو في مقتبل العمر "قانون ابن سينا" وحظيت تآليفه في التشريح باهتمام أهل هذه الصناعة ، قال طاش كبرى زاده «وكتب التشريح أكثر من أن تحصى ولا أنفع من تصنيف ابن سينا ، والإمام الرازي ، كما تتلمذ على يديه تلاميذ اشتهروا بالمهارة في الطب مثل قطب الدين المصري.

والرازي يجعل الطب والفراسة فرعاً للعلم الطبيعي ، فيقول «أن من أصول هذا العلم –يعني الفراسة– مستندة إلى العلم الطبيعي وتفاريعه مقررة بالتجارب وكان مثل الطب سواء بسواء » ، فهو يجعل الفراسة طباً نفسانياً بالفهوم الحديث ، ويرى أنه كما تعالج أمراض الجسد بالأدوية والعقاقير فإن الفراسة علم تعالج به أمراض النفس ويضع لـ أطباء النفس شروطاً يرى أنه لابد منها لمن يريد المهارة في هذا المجال كالعناية بجميع الظواهر النفسية لدى المريض وقوة الملاحظة والمواظبة على العمل وإجراء التجارب الكثيرة.

وقد كان علم الفراسة قبل الفخر علماً ملتصقاً بالدجل يصعب فصله عنه حتى جاء وميزه وأخرجه من هذه الدائرة ليدخله في دائرة العلوم كفرع من الطب واعتبره علماً يقيني الأصول ظني الفروع ، وقد ألّف كتابه "الفراسة" بناءً على رسالة صغيرة لـ أرسطو لم يقف عند ما جاء فيها بل وسعها وزارد عليها مما جعل البعض يعتبرونه المعلم الأول في هذا الباب.

من دلائل الأعضاء الجزئية في الوجه

وننقل هنا بيانا مختصراً لدلائل السمات الموجودة في الوجه ودلالاتها على شخصية وسلوك وأخلاق الإنسان كما ذكرها الإمام الرازي في كتابه

في دلائل الجبهة

من كان مقطبا لجبهته ،مائلا إلى البسط فهو غضوب
من كانت جبهته صغيرة فهو جاهل
من كانت جبهته عظيمة فهو كسلان، وغضوب
فهو صلف كذاب من كانت جبهته كثيرة العضوية
من كانت جبهته منبسطة لاغضون بها فهو مشاغب

في دلائل الحاجب

الحاجب الكثير الشعر يكون صاحبه كثير الهم والحزن غث الكلام
إن كان حاجبه يميل من ناحية الأنف إلى الأسفل ومن ناحية الصدغ إلى فوق فإنه صلف أبله

في دلائل العين

الدلائل المأخوذة من مقدار العين فتقولمن عظمت عينه فهو كسلان
الدلائل المأخوذة من وضع العين من كان عيناه جاحظتين فهو جاهل مهذار
من كانت عيناه غائرتين فهو خبيث
من كان عيناه غائرتين قليلا فنفسه نبيلة

الدلائل المأخوذة من لون العين

من كانت حدقته شديدة السواد فهو جبان
إذا كانت العين حمراء مثل الجمر فصاحبها غضوب مقدام
من كان لون عينيه أزرق أو أبيض فهو جبان
من كانت عيناه بلون الشراب الصافي فهو جاهل
من كانت عيناه بارزتين فهو وقح
من كانت عيناه موصوفتين بالصفرة والاضطراب فهو جبان
من كانت عيناه زرقاء تلك التي تكون في زرقتها صفرة كأنها صبغت بالزعفران فإنها تدل على رداءة الأخلاق
النقط الكثيرة في العين حول الحدقة تدل على أن صاحبها شرير فإن كانت هذه الحالة في عين زرقاء كان الشر أكثر
الحدقة التي حولها طوق تدل على أن صاحبها مهذار شرير
إذا كانت الحدقة سوداء فيها صفرة مذهبة فصاحبها قتال سفاك للدماء
أما العين الزرقاء التي تبرق والخضراء كالفيروز فأصحابها أردياء
وصاحب العين الزرقاء الشديدة الخضرة خائن شرير
وأفضل ألوان العين الشهلة
الدلائل المأخوذة من الجفن في الغلظ والرقة:
إذا كان الجفن في العين منكسرا أو ملتويا فصاحبه مكار كذاب أحمق

الدلائل المأخوذة من كثرة الطرف وقلته

من كان عيناه تتحركان بسرعة حدة وكان حاد النظر فهو مكار محتال لص
من كانت حركة عينيه بطيئة كأنها جامدة فهو صاحب فكر ومكر
وصاحب العين الكثيرة الرعدة شرير والعين الدائمة الطرف تدل على الجنون والجبن

في دلائل الوجه

إذا كان وجه الإنسان شبيها بوجه الغضبان فهو غضوب
من كان لحيم الوجه فهو كسلان جاهل
من كان كثير لحم الخدين فهو غليظ الطبع
من كان نحيف الوجه فهو مهتم بالأمور
من كان شديد استدارة الوجه فهو جاهل ونفسه حقيرة
من كان وجهه عظيما فهو كسلان
من كان وجهه صغيرا فهو رديء خبيث ملق
قبيح الوجه لايكون حسن الخلق إلا نادرا لقوله عليه السلام اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه
من كان طويل الوجه فهو وقح
من كانت أصداغه منتفخة وأوداجه ممتلئة فهو غضوب

في دلائل الضحك

من كان كثير الضحك فهو دمث متساهل قليل العناية بالأمور
من كان قليل الضحك فهو معاد مخالف لايرضى بأعمال الناس
من كان عالي الضحك فهو وقح سليط
من كان عند الضحك تبع عليه السعال والربو فإنه وقح سليط صخاب

في دلائل الصوت والنفس والكلام

من كان صوته غليظا جهيرا فهو شجاع مكار
من كان كلامه سريعا فهو عجول قليل الفهم
من كان كلامه عاليا سريعا فهو غضوب سيء الخلق
من كان كلامه منخفضا فهو هاديء حسن الخلق
من كان نفسه طويلا فهو رديء الهمة
من كان صوته ثقيلا فهو رحيب البطن
من كان صوته غثا فإنه حسود مضمر للشر
من كان حسن الصوت فهو دليل الحمق وقلة الفطنة
من كان نفسه غليظا فهو عسر النطق

نبذة عن الكاتب

هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي الرازي، الطبرستاني المولد، القرشي التيمي البكري الأصل، الشافعي الأشعري الملقب بفخر الدين الرازي و ابن خطيب الري وسلطان المتكلمين وشيخ المعقول والمنقول. هو إمام مفسر فقيه اصولي ، عالم موسوعي امتدت بحوثه ودراساته ومؤلفاته من العلوم الإنسانية اللغوية والعقلية إلى العلوم البحتة في: الفيزياء، الرياضيات، الطب، الفلك. ولد في الريّ. قرشي النسب، أصله من طبرستان. رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان. وأقبل الناس على كتبه يدرسونها، وكان يحسن اللغة الفارسية.

ولد الرازي في عام 544 هـ الموافق 1149م بمدينة الري وقيل بأنّه وُلد عام عام 543هـ ،ونشأ في بيت علم إذ كان والده الإمام ضياء الدين عمر بن الحسن فقيها أصوليا متكلما صوفيا وكان خطيب الري وعالمها وله تصانيف كثيرة في الأصول والوعظ وغيرهما من أهمها غاية المرام في علم الكلام حيث اعتبره إبن السبكي من أنفس كتب أهم السنة وأشدها تحقيقاً.

وعلى يدي والده ابتدأ فخر الدين طلبه للعلم في صباه فتعلم العلوم الإولية فإغناه عن طلب العلم على يد سواه حتى وفاته عام 559هـ، وقد كان الرازي شديد الإعجاب بوالده فيذكر اسمه بإجلال واحترام ويدعوه "بالإمام السعيد" ويجعله شيخه وإستاذه ويذكر السلسلة العلمية التي تلقى عنها بكل اعتزاز.

وفاته

بعد أن لاقى الفخر في حياته الحافلة ما لاقى من أذى الخصوم ، حط عصا الترحال في هراة وسكن الدار التي كان السلطان خوارزم شاه قد أهداه إياها وهناك لم يتركه خصوم يخلد إلى الراحة بعد ذلك الكدح الطويل وإنما استمروا يعملون للنيل منه ومن سمعته.

وتوفي في الأول من رمضان عام 606هـ الموافق عام 1209م في هراة وذهب أكثر المؤرخين إلى أنه دفن في الجبل المجاور لقرية مزداخان القريبة من هراة وقيل بل دفن في بيته.

المصادر

1– موقع أراجيك www.arageek.com
2– مدونة أسرار الوجه
3– موقع ويكيبيديا